Kwasu Journal of Humanities, 1:1 (2018): 147–160
Copyright © Kwara State University Press
ISSN 2636-4999

الإرهاب اللغوي وأثره على المجتمع: دراسة تحليلية

تاج الدين يوسف*

Linguistic Terrorism and Its Effects on Human Society: An Analytical Study

Tajudeen Yusuf*

الملخص: تقدم هذه المقالة دراسة تحليلية لنص سياسي ديني مختار من الأخبار العربية العام 2007م، والهدف من ذلك توضيح تواصلية اللغة وتأثيراتها الإيجابية والسلبية على العلاقات الإنسانية، ولإخراج هذه الدراسات من إطارها التنظيري إلى الإطار التطبيقي يعتمد البحث تحليل التأثيرات اللغوية وأفعالها على نظرية متكاملة مستمدة من نظرية تحليل النظم، تلك التصورات التي ترى أن المجتمع يتكون من نظم متكاملة يرتبط بعضها ببعض، وأن جميع المتغيرات لها تأثيراتها المتبادلة. فالنظم البشرية تحوي عدداً كبيراً من المتغيرات المرتبطة بعضها ببعض.كما أن الدراسة تستفيد بنظرية الاتصال ونظرية اللسانيات التداولية، وهي من اتجاهات اللسانيات الحديثة. فقد قام بعض المنظمات المحلية والدولية المعنية بالسلام والتعايش السلمي بجهود جبارة لأجل بث الاستقرار والأمن، غير أن الدراسات والتجارب قد أفادت أن اللغة التي هي النطام التواصل الرئيس لها دورها الفعال في توطيد التعايش السلمي والأمن بين أفراد المجتمع.

الكلمات المفتاحية: التعايش؛ اللغة، ، السلم؛ المجتمع؛ الإرهاب

* Tajudeen Yusuf, Department of Linguistics, African and European Languages (Arabic Unit), College of Humanities, Management and Social Sciences, Kwara State University, Malete, Nigeria. Email: toyin_72@hotmail.com.

Abstract: This paper presents an analytical study of a selected political/religious text from an Arab Newspaper (Arab Times of May 2007). It aims at addressing the role of language communication on human relationships especially to consolidate and enhance peaceful coexistence. The study employs interdisciplinary theories consist of systems analysis theory, pragmatic theory and communication theory and then applies them on some aggressive linguistic elements found in the selected text; some words that may affect peaceful coexistence and effective relationships among the individuals in human communities regardless of their believes, races and social classes are pinpointed and addressed .It has become apparent that the continued exploitation of Religion in nowadays by many politician Politics has become a tool of gaining their political desires. Peace is very important in order to avoid unnecessary conflicts that might hinder progress or even result in the loss of life. Efforts have been made by many organizations devoted to fostering peace within the domestic and global spheres. For example, organizations such as the Peace Corps emphasize the importance of understanding others in order to enrich life within the global community. However, the roles of language in consolidating peaceful coexistence in human societies can never be underestimated or underrated. Indeed, throughout history, many have reflected on the importance of language for it shapes thoughts and emotions, determining one's perception of reality; it is also the light of the mind.

Keywords: Coexistence; Language; Peace; Society; Terrorism

تمهيد

تقدم هذه المقالة دراسة تحليلية لنص سياسي ديني مختار، والهدف من ذلك توضيح تواصلية اللغة وتأثيراتها الإيجابية والسلبية على العلاقات الإنسانية، ولإخراج هذه الدراسات من إطارها التنظيري إلى الإطار التطبيقي يعتمد البحث تحليل التأثيرات اللغوية وأفعالها على نظرية متكاملة مستمدة من نظرية تحليل النظم، تلك التصورات التي ترى أن المجتمع يتكون من نظم متكاملة يرتبط بعضها ببعض، وأن جميع المتغيرات لها تأثيراتها المتبادلة. فالنظم البشرية تحوي عدداً كبيراً من المتغيرات المرتبطة بعضها ببعض(Whitney 153–154). كما أن الدراسة تستفيد بنظرية الاتصال ونظرية اللسانيات التداولية، وهي من اتجاهات اللسانيات الحديثة، وتنظر في العلاقات القائمة بين اللغة ومستعمليها من الناطقين بها، وتتعامل مع تحليل اللغة على ضوء الاستخدام الواقعي لها في

المجتمع (Groenendijk 1)، ثم تطبيقها على بعض عناصر لغوية من تفاعلات لغوية عنيفة في النصوص، تلك الأنماط التفاعلية اللغوية السلبية التي تمثل انتهاكاً أو خللاً لمبادئ العلاقات الإنسانية البنّاءة والعيش المشترك الراقي بين أفراد المجتمع.

لا شك أن المجتمع البشري قد شهد بعض التسميات والمصطلحات الجارحة التي يستخدمها بعض النخب في المجتمعات من خلال خطاباتهم السياسية والدينية عبر وسائل الإعلام بمختلف أنواعها. لعل من أشهر هذه المصطلحات (الإرهابي)، و(الوهابية)، و(الخوارج)، و(السني)، و(الشيعة)، و(الجهاد) و(الصوفية)، تلك المصطلحات والمفاهيم التي تكاد تفرض سيطرتها على التفكير السياسي والديني المعاصر، ومهما تباينت المواقف في النظر إلى تلك المصطلحات والمفاهيم، فإن الثابت الوحيد هو أنّها تفرض نفسها على المشهد المعاصر فكرياً وواقعياً، وتفرض على الكاتب أوالباحث أو المفكر أن يتناولها راغباً(طحان 35)، وذلك لما تمتلكه هذه المصطلحات والمفاهيم من إثارة وجذب قويّين لدى المتلقين في اللحظة الراهنة. والواقع المؤسف هو إسهام الإعلام العربي والإسلامي في توريط البلاد العربية والإسلامية والشباب، ولا شك في أن الإعلاميين، كما قال الدكتور طحان، ''يعلمون بكل تأكيد أنهم يشاطرون العديد من الجهات الخارجية، في الإساءة للمجتمع، سواء أكان بتكرار مادة وكالات الأنباء العالمية، أو بقبول الأطروحات المخابراتية حول العديد من القضايا الجوهرية والإستراتيجية للمنطقة، وهم بذلك يسهمون في طعن الأبرياء من المواطنين'' (طحان 38).

إن الخطورة لا تظهر في فرض هذه المفاهيم والمصطلحات لنفسها فحسب، بل تكمن كذلك في ما تلغيه أو تهمّشه هذه المفاهيم من مفاهيم أخرى، وعلى سبيل المثال، فإن مفاهيم شرعية أخرى كـ(التيسير) و(التسامح) و(التعايش) و(الرحمة) و(العلم) و(المعرفة) ونحوها أصبحت مهمشة مقارنة بالمفاهيم الشنيعة السابقة، ومن هنا يكمن انحراف كبير في مسيرة الخطاب السياسي والديني في المجتمعات العربية والإسلامية.

معايير اختيار النصوص

اختار الباحث النصوص السياسية الدينية على أساس أن التحليل الدقيق لتاريخ المجتمع العربي والإسلامي يشير إلى أن الطبقات الحاكمة قد استعملت ولا تزال تستعمل الدين لمصلحتها، وهي تتخذ منه قناعا لسياستها ومصدراً مهماً لشرعيتها وكذلك وسيلة من وسائل القمع التي يستخدمها مما جعل التمييز بين الخطابات الدينية والسياسية أمراً غير ميسور في معظم الأحوال، وفي ذلك يقول جمال حمدان: ''إن أغلب الفرق الدينية والشيع والطوائف التي تكاثرت في صدر الإسلام وما بعده بدأت أصلاً على شكل أحزاب سياسية وصراعات على السلطة والحكم. وفي العصر الحديث ظل الدين أداة ميسورة للسياسة، تستغله القوة لتشريع وجودها غير الشرعي مرة، أو لتبرير مظالمها وابتزازها مرة أخرى'' (حمدان 125–126).

هذا، فالعلاقة بين الدين الإسلامي والسياسة، بل علاقة كل دين بالسياسة، سماوياً كان أم وثنياً، علاقة قديمة قدم الدين نفسه. فالإسلام على سبيل المثال في عقل أغلبية المسلمين دين ودولة ودنيا، وإيمان وسياسة، وإدارة الحياة والآخرة معاً. وإن صح القول، فأول خلاف سياسي في الإسلام هو انقسام المسلمين فيمن سيخلف النبي بعد وفاته. هذا وإن الصلة بين الدين والسياسة تفرض نفسها بقوة في كل المجتمعات، البدائية منها والمتقدمة (شرف الدين 171)، ولا شك أن توظيف الدين من قبل الطبقات الحاكمة في دعم مواقفها وتثبيت وجودها يتضح من خلال آلية لجوء هذه الطبقات إلى تشجيع التفكير العقدي، فادعاء الحاكم والسلاطين الخلافة قد أدى دوراً في تحويل الدين إلى أيديولوجيا رسمية. فالعلاقات الوثيقة بين الدين والسياسة وخاصة في أيامنا هذه تفرض التداخل بين النصوص السياسية والدينية، وعلى هذا قد يجد القارئ نوعاً من التداخل بين القضايا السياسية والدينية في سياق بعض النصوص المختارة للتحليل.

فكرة عن النص

كتب أحمد مهدي الياسري–العراقي مقالاً بعنوان (فخ الإرهاب الوهابي الصدامي في اعترافات موثقة لسعوديين غرر بهم)، في جريدة ''عرب تايمز'' ،Arab Times

14 مايو، 2007. ويتناول المقال والذي يعد نصاً سياسياً اتهامات الحكومة السعودية بتدعيمها المادي والمعنوي لتخريب العراق لتصل إلى أهدافها الدينية والسياسية، وأنها، أي الحكومة السعودية، وراء جميع الصراعات بما فيها الأعمال العنيفة والتفجيرات وعدم الاستقرار الأمني في العراق. ومن حيث المقصد، قدم الكاتب معلومات وحججاً رفيعة المستوى إلى المتلقي لإقناعه والتأثير فيه.

ويشمتل النص على مفردات وتعبيرات كثيرة جارحة، فعلى وجه المثال لقد تكرر لفظ (الإرهاب) في النص مفردا ووصفا نحو (14) مرة، كما وردت فيه بعض تعبيرات تتضمن الإهانة مثل (الإرهاب الوهابي)، و(آل سعود الإرهابيين)، و(العربية الوهابية المنحرفة)، و(الدولة الوهابية المنحرفة)، و(السعودية الوهابية المتشددة) ونحوها، وتكرار هذه التسميات يوحي بسيطرة العنف اللغوي على النص برمته، وارتباطه بالفكرة الإرهابية موضوعاً أساسياً،كما أن معظم مفردات النص تتسم بالاتساع في الدلالة. والواضح أن جميع التسميات الواردة في النص لا تخرج معانيها عن مفهوم الإرهاب والتطرف والتشدد كما سيتضح في أثناء التحليل.

النص

> حينما نقول إن الإرهاب وهابي سعودي عربي لا نخطئ في ذلك قيد أنملة، وحينما نقول إن البعث الصدامي استخدم الخصالات الإرهابية الوهابية العربية وسيلة ومطية للتفجير والتخريب في العراق ليصل إلى غاياته الدنيئة بتخريب العملية السياسية والانتقام ممن قبل بزوال الزمرة الصدامية الباغية، وإن التغيير الجديد فاشل في العراق بدليل ما يجري من أنهار الدماء، وإن أيام الطاغية المقبور أرحم مما ترونه الآن، علما أن ما جرى سابقا وما يجري الآن ينفذ بذات الأيادي الصدامية العربية الوهابية المنحرفة في إرادة تخريب وتدمير مسبقة للعراق وشعبه، بدأت منذ زمن طويل ودفعت من أجل هذا التدمير مليارات الدولارات خصصها العرب وعلى رأسهم آل سعود الإرهابيين من أجل تحطيم العراق وشعبه عبر

حلقات مرت وأخرى تجري الآن وما في جعبتهم من مؤامرات
قادمة أدمى (أدهى) وأمر .... (الياسري)

مصطلح 1:"الإرهابي"

أولاً: المعنى اللغوي

''الإرهاب'' في معناه اللغوي مشتق من الرهب. يقال: رهب، ويرهب رَهبةً، ورُهباً ورَهباً أي خافَ. والرهبان بمعنى الخوف، وأرْهَبَه ورهّبَه واسترْهَبَه: أي أَخافَه وفزَّعه وفى حديث الدعاء رغبة ورهبة إليك، أي خوفًا وفزعًا منك وإليك. فالرهبة: الخوف والفزع جمع بين الرغبة والرهبة (ابن منظور و ه ب)، وهو على ذلك إحدى الوسائل التي تسبق بدء المعركة الحقيقية، ويستهدف إنزال الرهبة والخوف في صفوف الخصم قبل المنازلة المباشرة من باب ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال:60). ولا شك أن الإعداد للقوة أسبق من استخدامها بالفعل، حتى يتم النيل من العدو والقضاء عليه نهائيا، والإرهاب في هذا المعنى القديم، هو جزء من إستراتيجية المنازلة الحقيقية، وتحمل فكرة العدالة بالقدر الذي تحمله قضايا القتال(سلطان). هكذا نجد أن (الإرهاب) في اللغة العربية يدور حول الخوف والفزع والرعب والتهديد.

ثانياً: المستوى التداولي

يعد مصطلح (الإرهابي) أم جميع المصلحات الحضارية الشنيعة المتداولة في المجتمع المعاصر، بل أصبحت كلمة (الإرهاب) ومشتقاتها أكثرها تداولاً وانتشاراً في مختلف مؤسسات المجتمع وعلى الوجه الخصوصي المؤسسات السياسية والمذاهب الدينية حيث إن هذا المصطلح قد تحول إلى سلاح مدمر على أيدي النخب والأحزاب السياسية. و(الإرهاب) مصطلحاً ليس له تعريفٌ دقيقٌ يتفق عليه سواء أكان في القانون الدولي أم في تعامل المنظمات الدولية، فكل دولة أو جهة تصوغ تعريفاً يعبّر عن نظرها، حتى إن بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية تتبنى أكثر من تعريف واحدٍ خدمةً لأغراضها السياسية. ولم تتفق

الموسوعات والمعاجم الأجنبية أيضاً على تعريف (الإرهاب) وإن تحدثت عن بعض ملامحه، وأصبح مفهوم (الإرهاب) يختلف تبعاً لاختلاف السياق والزمن والفكر الذي استعمل فيه، فأصبح من المتعذر إقامة نظرية واحدة تحيط بكل هذه الأمور، بل ومن الخطأ الاعتماد على المعيار الذي لا يميز بين مختلف الشرور المتصلة بالإرهاب. والسر في ذلك أن ظاهرة الإرهاب تتضمن مفاهيم سياسية واجتماعية وقانونية وفكرية متضاربة. ومما ورد في تعريف الأمم المتحدة للإرهاب أنه ''مجموعة الأعمال التي ''تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة، أو تهدد الحريات الأساسية، أو تنتهك كرامة الإنسان'' (الموسوعة العربية 960–961).

وفي المجلة العسكرية الأمريكية عدد تشرين الأول 1984 تعريف للإرهاب بأنه ''الاستخدام غير القانوني للقوة أو العنف، أو التهديد بهما، من منظمة ثورة ضد الأفراد أو الممتلكات، مع نية إكراه الحكومات أو المجتمعات لتحقيق أغراض هي غالباً أيديولوجية (الموسوعة العربية 960).

والإرهاب عند بعض المعاصرين هو التهديد باستخدام العنف، أو استخدامه بالفعل للتخويف، أو الإكراه لتحقيق غايات سياسية في معظم الأحيان، سواء كان إرهاب الجملة الذي يمارسه الأباطرة، أم إرهاب التجزئة الذي يمارسه اللصوص (عرسان 8).

ولقد أصبح مفهوم الإرهاب اليوم عائماً ليس له مدلول واضح ومحدد، فالكل يستخدمه حسب هواه وميوله، فقد يكون شخص ما إرهابيا في نظر بعض الناس، وبطلاً ومجاهداً ووطنياً في نظر الآخرين، فالإيرلنديون إرهابيون في نظر بريطانيا وهم في الوقت نفسه أبطال في نظر روسيا، وهم مجاهدون في نظر الأمريكان، واليوم تطلق أمريكا وإسرائيل هذا اللقب على ''المجاهدين'' في فلسطين، وتطلق العرب عليهم (المجاهدين) لأنهم يقاتلون عدواً استعمر بلادهم وجثم عليهم ويمارس ضدهم كل أنواع الإرهاب. فالمجتمع الدولي لم يصل إلى تعريف دقيق لكلمة إرهاب، وأصبح التعامل مع هذه الكلمة يخضع لمزاجية بعض الدول وكيفية نظرتهم لمن يقوم بعمل عنيف والأسباب التي دفعته للقيام بهذا العمل (الهرفي 24).

وإذا كان (الإرهاب) هو التهديد باستعمال عنف غير عادي لتحقيق غايات سياسية أو دينية أو اجتماعية عند بعض المحللين (إريك 39)، فإن كلمة (الإرهاب) في عرف أمريكا تعبير سياسي ورمز لغوي لكسب تعاطف الشعوب لتظل مساندة لحكومتها. إنه رمز لغوي تستغله أمريكا ومن في حكمها من النخب والسياسيين للقضاء على من يخالف مصلحتهم، أصبحت كلمة (الإرهاب) لعبة لا تعرف الجمود في المؤسسات السياسية، المحلية منها والدولية، فإن حركتها دائبة لا تهدأ، وأصولها وأهدافها تتغير وتتطور مع تغير وتطور أهداف السياسيين (محمد 26).

وهكذا نجد أن لفظ (الإرهاب) قد مضى على التطورات التاريخية، بعيداً عن قاعدة المعنى اللغوي وجرى خرق هذا المعنى باستمرار في الوقت الذي يتشبث به الأشرار من أفراد المجتمع لتبرير أفعالهم المضادة للمعنى الحقيقي وإبداء قناعات لا تصمد أمام التحليل إلا بالتعسف على النظام اللغوي وطبيعته الملازمة لنوع الفعل وإطاره في اللغة المستخدمة.

وخطورة تداول لفظ (الإرهاب) لا تقتصر على استراتيجيه سفك الدماء البريئة في الشوارع أو عمليات استهداف الناس الأبرياء، ولكن يتجلى دور الفعل اللغوي الإرهابي في قتل المعنى وانقلابه الذي يجرم البراءة ثم يستخدم وسيطا لنقل رسالة زائفة. وأصبح الإرهابيون السياسيون والإعلاميون يقتلون اللغة ذاتها بوصفها علامات تسمية، ونظم اتصالية. فيجعلون (الإرهاب) أساسه الكراهية المطلقة حتى يعطوا صورة منطقية للجريمة القائمة على هذا المفهوم (سلطان).

وينزع علماء النفس إلى تصور انحصار الوظائف الإنسانية في ثلاث مهام: التفكير والشعور والفعل، وهذه الوظائف تعرف في علم النفس الاتصالي بـ(مدخلات – وشعور – واستجابة أو رد فعل)، ويكمن جانب الشر في تداول تسمية (الإرهاب) وما يرمز إليه أنه يوّلد شعوراً بالإهانة، ثم يتحول إلى الشعور بالغضب من السلطات التي تسمح بممارسة العمل الإرهابي. وبطبيعة الحال، فإن مفتاح إحداث مثل هذا التأثير في الشعور يجيء من الفعل اللغوي العنيف الذي تمارسه أجهزة الإعلام ضدّ بعض أفراد المجتمع (أريك 61).

ولأجل الويلات والرعب والعواقب الشنيعة التي تركتها أشكال العنف في المجتمعات، بل لأجل الإرهاب الرمزي الذي يمارسه الكثير من النخب في بعض المؤسسات الاجتماعية حاكمين ومحكومين، أفراداً وجماعات وخاصة عبر وسائل الإعلام والفضائيات، لقد أصبحت لكلمة (الإرهاب) دلالات خطيرة في جميع الثقافات والسياقات التي استخدمت فيها، فالإرهاب أصبح كلمة كريهة شكلاً ومضموناً، ويزيد في مقتها وفي أفعالها الشريرة إعلام صليبي–صهيوني حاقد، يستعملها للتشنيع على العرب والمسلمين، إضافة إلى التقليد الأعمى المفرط لدى الإعلامي العربي– الإسلامي، علماً بأن الدين الذي جعل السلام تحية لمعتنقيه لا يمكن أن يقرّ كثيراً مما يسمى (العمليات الإرهابية) في الإعلام المعاصر (السمّاك 3-5).

ويعلم الجميع حالياً، أن (الإرهاب) ظاهرة اجتماعية، إذ لم يعد مجرد تهديد منعزل، أو ظاهرة مصاحبة للمتشددين المحليين، بل ازداد دوره كاستراتيجية دولية مستخدمة يلجأ إليها بعض الأفراد في المجتمع للحصول على مصالحهم، وأداة من أدوات الصراع الحضاري، كما أن عملية العنف ظاهرة مرتبطة بوجود علاقات اجتماعية بين بني البشر، ووجود صراع أزلي بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، يزداد وينقص حسب اتساع دائرة العلاقات الإنسانية أو تقلصها، وحسب احتدام الصراع بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، فكلما ازدادت دائرة العلاقات الإنسانية، وازداد الصراع بين الخير والشر، ازدادت هذه الظاهرة وانتشرت في المجتمعات البشرية، وأن هذه الظاهرة ترتبط بمدى تمسك المجتمع بمنظومة القيم والأخلاق والتعاليم النبيلة في علاقاته، وكذلك العكس، أي كلما يقوى تمسك أفراد المجتمع بتلك المنظومة تتلاشى ظاهرة الإرهاب، وكلما ضعفت تلك المنظومة ازدادت هذه الظاهرة العنيفة (المطرودي 20).

ولا تكون مناهضة الإرهاب إلا بالرد الإيجابي، وإزالة الإساءات المثيرة للشعوب، وذلك لأنه ''لو اعتقدنا في سوء شيء ما، وكان لنا حق الحيلولة دون وقوعه، فإن واجبنا يدعونا إلى محاولة منعه'' (أريك 163). ولا شك في أن (الإرهاب) قولاً كان أم فعلاً لا يجلب البؤس والخسائر في الأرواح والأموال

فحسب، بل هو إهدار وخرق فاضح لحقوق الإنسان الأساسية، وتفكيك تماسك نظم المجتمع، وتهديد خطير لعلاقات التعاون بين أفراد المجتمع والشعوب والتعايش بين البشر والسلام والأمن على المستوى الوطني والعالمي.

مصطلح 2: "الوهابية"

أولا: المعنى اللغوي

(الوهابية) مشتقة من وَهَبَ، و(الهبة): العطية الخالية عن الأغراض والأعراض، فإذا كثُرَتْ سمي صاحبها وَهّاباً، وهو من أبنية المبالغة، و(الوهَّاب) من أسماء الله تعالى المنعم على العباد، والله تعالى هو الوهّاب الواهب، ويقال في حق الإنسان عبد الوهّاب (ابن منظور و هـ ب).

ثانياً: المستوى التداولي

أصل تسمية (الوهابية)

(الوهابية) تسمية تنسب، في أول تاريخها، إلى دعوة الداعية والمجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب المولود في نجد من شبه الجزيرة العربية (المتوفى 1792م)، أو إلى أتباع الدعوة. والواقع أن أتباع الشيخ محمد في بادئ الأمر يطلقون على أنفسهم لقب (الموحِّدين)، لكن كثراً من المسلمين المناوئين لهم ظنوا بأن مؤسس الدعوة إنما أتى بمذهب إسلامي جديد، فسموه (المذهب الوهابي) أو (الوهابية)، وقد أخذ المؤرخون والباحثون بهذه التسمية التي انتشرت فيما بعد وأصبحت هي الشائعة (ضاهر 28).

(الوهابية) لها دلالتها المزدوجة السياسية والدينية، وهي حركة سياسية حيث إنها تمثل مبدئياً حركة معارضة للدولة العثمانية عندما ظهر ضعف قيادة السلاطين العثمانيين السياسية، والاستبداد بأمور الدولة والتصرف في الشؤون العامة، وظهر الترف والسعي وراء شهوات النفس، فساءت الإدارة وتفشى الظلم. وفي مجال الدين أضحت حركة إصلاحية تفرفض إثر المعتقدات الدينية المشوهة بالبدع

والشعوذة، والتي كانت سائدة في مناخ الدولة العثمانية، ثم اصطدمت دعوة الشيخ بالسلطات العثمانية (العجلان 19).

تطور دلالات (الوهابية)

لم تكن تسمية (الوهابية) مرضية في جميع سياقات تداولها إذ كانت منذ فجر استعمالها وصفاً عدوانياً يقصد به التشويه والتنفير وحجب الحقيقة عن الآخرين. ويضاف إلى ذلك أن الأزمات الحضارية السياسة والطائفية الدينية المعاصرة قد أكسبت مفهوم (الوهابية) مفاهيم أخرى تحددها ثقافات مستخدميها والسياقات التي استخدمت فيها، فـ(الوهابية) التي يتحدث عنها السياسيون والكتاب الغربيون غير محصورة فيما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه وأحاديثه ودروسه. بل إن تسمية (الوهابي أو الوهابيين) ليست مقصورة على أولئك الذين وافقوا الشيخ فيما دعا إليه، فالوهابية إذا أطلقت في السياق السياسي وعند الغرب كان وصفًا لكل من أخذ دين الإسلام مأخذ الجد والالتزام، وحتى لو كان الآخذ به إنساناً لم يقرأ للشيخ حرفاً واحداً ولم يتسَمَّ باسمه ولم يكن موافقاً له في بعض آرائه واتجاهاته العقدية. فالوهابية في وسائل الإعلام والاتجاهات الغربية ومن دار في فلكها تسمية لكل مسلم ينزع إلى التمسك بشعائر الدين وأحكامه.

وعلى هذا الأساس فالوهابية عند هؤلاء مرادفة للتطرف والإرهاب والعنف والعدوانية والتشدد وعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص، أو الجماعة. والوهابي عند الغرب قد يطلق على المسلم المتمسك بتعاليم دينه، المسلم الذي لا يشرب خمراً ولا يتناول رباً ولا يرى اختلاط الرجال بالنساء (شرف الدين 219).

وإذا كانت الوهابية تحمل معاني التطرف لدى مروجيها، فإن التطرف إذاً ظاهرة مَرَضية بكل معنى الكلمة في جميع مستويات المجتمع، فالسياسيون — مثلا – متطرفون حين نجدهم يسلمون بفكر وباتجاه لا يقبل النقاش ويرفضون رفضاً قاطعاً آراء الآخرين، ويكرهون من يحمل رأياً غير رأيهم، والإعلاميون متطرفون

حين يفرضون آراءهم وقيمهم وفلسفاتهم على الجماهير. فالتطرف بالمعنى العلمي إذاً سمة شائعة وعامة في المجتمع البشري المعاصر.

ومصطلح (الوهابية) كغيره من المصطلحات الحضارية السياسية المعاصرة يستخدمه النخب في المؤسسات السياسية، والدينية، كأسلوب للنيل من المعارضين والانتصار على خصومهم وذلك باستخدام اللفظ لمعان مثيرة للعواطف سواء في مقام الحق أم الباطل.

والحقيقة أن المشاعر الإنسانية لا تستطيع أن تتحمل مثل هذه التسميات التي تتضمن معنى الإهانة، لذا سرعان ما يترتب على ذلك ردود عنيفة، فتلك هي خاصية طبيعية أودعها الله في الإنسان، إذ إنه من الطبع قدرة الجسم على رفض كل غريب يصل إليه (المصري 139–140)، فتحمّل الإهانة وما إليها ليس من الطبيعة الإنسانية، ومن هنا كانت مراعاة أفعال اللغة وقوانينها وآثارها ودلالاتها الاجتماعية والثقافية ذات أهمية كبرى لجميع الأفراد لأجل تضامن المجتمع. ف(الوهابية) قد اكتسبت دلالات وإيحاءات ثانوية متمثلة في الغلو والتطرف الفكري وعدم التسامح والمرونة الأيديولوجية وخاصة في المجال السياسي والديني مما جعل أنصار هذه الدعوة التجديدية لا يرضون بهذه التسمية.

ولا شك أن استخدام بعض النخب السياسية والإعلامية ألفاظ وتعبيرات شنيعة كما ورد في النص مثل: (إرهاب الوهابيين)، و(الإرهاب الوهابي السعودي العربي)، و(الأيادي الصدامية العربية الوهابية المنحرفة) و(آل سعود الإرهابيين)، لا يزيد نظم المجتمع وكيانه إلا وبالاً وتفككاً. ولو أن الكاتب اكتفى بذكر (الإرهاب الوهابي) لكانت الجريمة التعبيرية أهون، لكن ربطه السعودية بالإرهاب الوهابي تهمة للأفراد السعوديين الأبرياء ووصفهم بالإرهاب والأفكار الوهابية. ويضاف إلى ذلك أن ربط العرب بـ(الإرهاب الوهابي) كما ورد في التعبير: (الإرهابية الوهابية العربية وسيلة ومطية للتفجير والتخريب في العراق) ليس تهمة أو إهانة لأتباع دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ولا إهانة للشعب السعودي فحسب، بل تهمة وإهانة للأمة العربية برمتها واتهامهم بتأييد الأعداء على تدمير العراق وتخريبها، ومثل هذه التعبيرات ما هي إلا تهديد لتجمع الأمة العربية

ووحدتها. ومن شأن تداول مثل هذه الألفاظ الطاعنة بين الأفراد أن تتوتر بها علاقات أعضاء المجتمع وتسيء إلى حياتهم وحضارتهم (المعتوق 34–35).

الخاتمة

هذه الدراسة محاولة للدعوة إلى عمل تأصيلي وإسهام في تغيير مسار العنف في المجتمعات، وإشاعة ثقافة التسامح وتبني لغة التعايش السلمي التي كادت تغيب بالأقدار المطلوبة في المجال الديني والاجتماعي والسياسي على حد سواء، سواء مع الذات أو مع الآخر. وقد حاول المقال الدعوة إلى أدبيات الحوار وممارستها في جميع نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن ثم تتحقق وظيفة اللغة الأساسية التي هي التفاهم والتواصل والتفاعل المشترك بين أفراد المجتمع، فموضوع الدراسة الأساسية هو النظر في العلاقة بين اللغة باعتبارها وسيلة الاتصال البشري من طرف والعلاقات الإنسانية ودورها في إرساء السلم والأمن والأمان بين أفراد المجتمع من طرف آخر. والدراسة كذلك محاولة للدعوة إلى تصويب ثقافة الخطاب ذاتها بناءً على تقنيات لغة التعايش السلمي وأخلاقياتها سواء على مستوى الذات أو مع الآخر تفادياً لما قد يسببه العنف من الصراع والانفصال، ذلك لأنه لا نجاح غالبًا لأي مفاوضة أو عملية سلام أو تفاعلات مشتركة في المجتمع في غياب لغة الاحترام والتسامح التي تعد من أساسيات الحياة المشتركة. هذا وقد تعرض المقال لتحليل التأثير النفسي لبعض المصطلحات الشنيعة الشائعة وخاصة بين النخبة السياسيين وفقاً لنظرية اللسانيات التداولية، وكيف يمكن توظيف الثروة اللغوية في حل الصراع بين أفراد المجتمع.

المصادر والمراجع

إريك، موريس. **الإرهاب: التهديد والرد عليه** (ترجمة أحمد حمدي محمود). الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م.

ابن منظور. **لسان العرب**. دار صادر،د.ت.

حمدان، جمال. **العالم الإسلامي المعاصر**. عالم الكتب، 1971م.
سلطان، محمد خضير. "أدب: الإرهاب واللغة .. دلالات ووقائع." **جريدة الصبا**، الخميس 22 آذار، العدد 1071، 2007م.
السمّاك، محمد. **الإرهاب والعنف السياسي**. بيروت: دار النفائس، 1992م.
شرف الدين، رسلان. **في الدين في المجتمع العربي**. مركز دراسات الوحدة العربية، 1990م.
ضاهر، محمد كامل. **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث**. دار السلام، 1993م.
طحان، أحمد. **عولمة الإرهاب: إسرائيل – أمريكا والإسلام**. دار المعرفة، 2003م.
العجلان، عبد الله بن محمد. **حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث**، 1989م.
عرسان، علي عقلة. "العنف والإرهاب." **الموقف الأدبي**، العدد 279، تموز 1994.
المصري، فاطمة. **أبحاث ومقالات في الدراسات الاجتماعية والنفسية**. دار المريخ للنشر، 1985.
المطرودي، عبد الرحمن بن سليمان. **نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2004م.
المعتوق، أحمد محمد. **الحصيلة اللغوية: أهميتها – مصادرها – ووسائل تنميتها**. عالم المعرفة، 1996م.
الموسوعة العربية. الجمهورية العربية السورية. هيئة الموسوعة العربية، 1998م.
الهرفي، محمد بن علي. **أمريكا صانعة التطرف**. مكتبة دار المعالم، 2005م.
Groenendijk, J., editor. *Foundations of pragmatics and lexical semantics*. Foris Publications, 1987.

Whitney, F. B. *The Element of Research*. Prentice Hall, 1973.